د. محمود عثمان

الطريق إلى جبل الشَّمس

دار الفارابي

الكتاب: الطريق إلى جبل الشَّمس
المؤلف: د. محمود عثمان
الغلاف: فارس غصوب

الناشر: دار الفارابي ـ بيروت ـ لبنان
ت: 301461(01) ـ فاكس: 307775(01)
ص.ب: 3181/ 11 ـ الرمز البريدي: 2130 1107

e-mail: info@dar-alfarabi.com

www.dar-alfarabi.com

الطبعة الأولى 2012
ISBN: 978-9953-71-752-4

© جميع الحقوق محفوظة

القلب هو الإمام الأكبر

ابن عربي

الإنسان حبل ممدود بين الحيوان والإنسان الأسمى، حبل فوق الهاوية.

نيتشه

قليلاً ولا ترونني، قليلاً وترونني، لأن امرأة أخرى ستلدني

جبران

الجزء الأول

النبيّ المجهول

الخريف والضباب

كان المساء خريفيّاً عندما وصل إلى الريف. وعلى بعد أمتار من صومعته الحجريّة، كان الضباب يغطّي ظهر الحصان المربوط إلى شجرة الدلب. الضباب الكثيف الحنون يجلب النعاس إلى عينيه المتعبتين.

الغروب يلتهم الأشياء. والجبل والسهل يحتكران الهدوء. والنسيم يهبّ عليلاً ممزوجاً بجلبة الأوراق المتساقطة خفيةً. والطيور تؤوب إلى أعشاشها. ما أسعد الحياة أيها الربّ العظيم، وما أشدّ غبطتي!

ها هو قد بلغ أشدّه وبلغ أربعين سنةً. لقد تسلّق السفح الوعر إلى أعلى التل. وها هو الآن يسرع في الانحدار على السفح الآخر، كصخرة تتدحرج أو كصهيل حطّه البرق من علٍ.

قفل عائداً من المدينة. هناك حيث عاش مغموراً أقلَّ شهرةً من بقّال، وأقلّ شأناً من بائع قهوة. لقد نفر من وحشة الأنس إلى أنس الوحشة. بل تاقت روحه إلى الالتحام بالأرض والتلاشي فيها. ولذا حمل كأسه الفارغة ليملأها من جديد.

وصل إلى فِناء البيت دون أن ينتبه إليه أحد. ولم يُبالِ بوجوده حتى أصغر الحشرات. وعندما حرّك المزلاج الحديدي سقطتِ الكأس من يده، فلم يُبالِ هو أيضاً. ثم دخل البيت وأخذ يلامس جدرانه المتغضّنة بحنانٍ هادىء.

وحين بدأ الضباب يتلاشى مع قدوم الليل، بزغ القمر عارياً كلصّ ظريف. فتنهّد قليلاً ثم فتح النافذة ورمى بأناه الصغيرة في الهواء، ليصبح الفضاء الواسع.

الصخرة

وقف على الصخرة العالية

ومدَّ عينيه شرشفاً فوق السهول البعيدة حتى البحر

ونادى بصوتٍ عالٍ:

سلام أيها الحمار الصغير الصَّبور

سلام أيتها الجباه المتدفقة بالعرَق

أيتها الأقدام المشقّقة الملوّثة بالوحل

أيتها الأحذية المطاطية الممزّقة

سلام أيها الشحرور الوحيد الذي يقفز خلف شجيرة التفاح

أيتها اللزّابة العانس

أيتها التلال المُخضّبة بالشّمس

أيتها الأودية الموشومة بالأزهار والرياحين

أيتها المآذن الممتزجة بأصوات الفلاّحين ورنّات المعاول

يا دِيَكَة الفجر

ويا ناقوس المغيب !

أخبروني يالصوص المعرفة

يا أدعياء الغيب

يا أصحاب المعجزات الموهومة

لا معجزة سوى الحزنِ

الساكن في عينيّ الحمار المسكين

لا آية سوى الغروب المتدفّق ذهباً

على نعش العالم

لا حقيقة سوى الدودة المسحوقة تحت كعبه الجبّار

سوى البعرة التي تدل على البعير

المسمّى الإنسان !

أنطقي أيتها الكهوف

أنطقي أيتها المغاور

إفضحي لصوص المعرفة وزيف الأوصياء

أيتها الجبال الشامخة في نَزَقٍ نحو الأعالي

يا شهود الزّور

أيتها التلال المسمّاة مجازاً تلالاً

أيها الإله الموشوم في القلب

عبدناكَ في كل هيئة وصورة

جالساً فوق الكرسي

وضاحكاً في البرق

مقهقهاً في الرعد

عبدناكَ حافياً تمشي على الطرقات

نائماً في الكهوف

هابطاً في الغمامة

حملناكَ مصلوباًعلى خشبةٍ

محاصراً في تأويل الذين لا يعلمون

سوى الجهلِ

مسلوباً في كتب الشريعة

سجين المعابد والكنائس والمساجد

أيها الإله الذي لا يحدّه مكان ولا زمان

ولا يسعه عرش ولا كرسي

أيها الكنز المخفيُّ عن الإنسان

المخبوء في قلب الإنسان

أيتها الحكمة العصيّة على شفاه الحكماء

مَن يشفيني من مرض الحكمة؟

أنا الحفنة الفاسدة النتنة

أنا البعرة المنسية على درب الحياة

مَن يشفيني

من عبوديتكَ وصلاتك وصيامك

من يشفيني من عدلكَ الرابض خلف حدود العقل

ومقاييس البصر

آه ما أصغر مقاييسي وأتعسها

آه ما أعجز كتبك وشرائعك المنحولة

لا شريعةَ سوى النقصانِ

ولا كتابَ مكتملٌ سوى الموت!

هذا هو النبيّ المجهول يربض فوق الصخرة

وينادي ثانيةً:

"أيها النائم الحالم في نومه

الموت يتربص بك

الدرب طويل

والحمل ثقيل

وقريباً جداً

ستشرق الشمس

وتحت قوس نورها

مكان للجميع".

النداء الخفيّ

وعندما دبَّ الربيع في أحشاء الأرض، وامتلأت الأعشاب بالأزهار والحشرات.

دَلَف هذا الذي يجهل نفسه إلى بستانه، ووقف بأسماله المتواضعة أمام الأشجار، فسمع صوتاً يقول:

أيتها الأشجار الناطقة الخرساء، أيتها الفراشات الساحرة، أيتها الأزهار البديعة الملونة، أيها النحل ذو الطنين الفجّ. لقد جاءكم المتصومع، الذي لا يملك شيئاً وهو يملك كل شيء. لا يملك شيئاً ليخسره سوى بقيّة من السنوات، وحفنةٍ من الأيام والليالي.

ثم مدّ يده إلى شجرة تفاح تنوء بثمارها، وقطف واحدةً بنَهَم عضّها. فأردف الصوت: حدثيني أيتها

التفاحة عن بذورك السماويّة ولحمكِ البشري. حدثيني عن تاريخكِ الملطّخ بالطعنات. فما حوّاء المسكينة سوى الحياة التي تصارع الموت في ذاتكِ، وما الحيّة سوى الحياة التي تزحف في بطنك وتتمدّد في شراييك.

وما آدم سوى الأديم الذي جُبل منه لحمك ودمك.

إيه أيها الإنسان يا عاشق النساء والدماء. فيك تمتزج الأرض بالسماء.

إيه أيها الإنسان لن تصبح إلهاً مهما حاولت. فما أنت سوى حبلٍ مرنّح بين الإله ودويبة الأرض.

مهلاً أيها الأنبياء. مهلاً أيها الرسل. لن يغلب الخيرُ الشرَّ. ولن يدوس الشرُّ الخيرَ.

لن تقوم مملكة الرب في هذا العالم إلا على أنقاض شرائعكم. والعدل آهٍ أيها الخروف المسكين.

ليس الخير سوى الشر الذي نزع عنه القناع. وما الشر سوى الخير الذي مرّغ وجهه في الطين.

ومشى المتصومع بخطوات هادئة إلى طرف البستان. ثم أسند ظهره إلى جذع لزّابةٍ هرمة. لم تكُ سوى بذرة لزجة، سقطت من بطن طائرٍ عابر حملته الريح إلى أرضٍ غريبة.

فإذا بطائر الوقواق يحطّ على كتفيه. ويداعب أنفه بمنقاره الحنون.

وسمع الهتافَ من جديد. لستَ أيها الإنسان سوى نجمةٍ تضيء من أجل الضوء. زهرة تحيا وتموت من أجل الحياة والموت.

تذكّرْ أيها المتصومع، أنّ أباك الذي مات في الثامنة والأربعين، وها أنت الآن تقترب رويداً رويداً من عمره، أصبح هذه اللزّابة التي تحنو عليك، وتسند إليها ظهرك ورأسك.

كنْ أيها المتصومع مثل هذا الطائر الذي يغرّد وحيداً في الهضاب، ويموت وحيداً وراء الثلج بلا جنازةٍ ولا أكفان. عارياً يموت على ذراع الليل وبين أنياب العاصفة. حتى يطلع الفجر وتبوس أجنحتَهُ الشمسُ.

كن طائراً يموت وهو نشوان. تاركاً وراءه بيضة يخرج منها لحن صغير يملأ بعده فراغ العالم.

تذكرْ أيها المتصومع، أنّك تحمل جثتك على ظهرك، وشرائعك الثقيلة المحفورة على خشب النعش في كتفيك.

إن سقوطكَ المدوّي من بطن أمك، يشبه ارتطام زجاجةٍ قذف بها سكّير في وسط النهر.

ها أنت أيها الإنسان مثل سفينةٍ عتيقة مثقوبة غرقتْ في النيل. ولم ينجُ من الغرق سوى خرقة حمراء كتب عليها:

أكمل الرحلة أيها البحّار!

الجسر

وذات يومٍ، خرج من صومعته قاصداً ذاك النبع البعيد المتوثب عند السفح، فوجد في طريقه صفصافة خضراء، وقد تفيأها فلاّح عجوز، بسط زاده لمن شاء من الناس والعصافير. فحيّاه بوجه بشوش وشاركه الغداء. وأراد الفلاح أن يعظه على عادة الشيوخ في الأرياف. فقال له كن سخياً أيها الرجل الغريب على مائدة الحياة. فما أنت سوى ضيف عابر مثل سائر الضيوف. على هذه الدرب راح الناس وجاؤوا. مرّت القوافل تلو القوافل، فكم جلجلتْ أجراس وكم بُحَّتْ حناجر. وكم حمل الزاد غادٍ ولم يعدْ إلى أهله. وانظرْ هناك ذاك الجسر المعلّق فوق النهر. كم داستْ عليه الأقدام، وسهرتْ عليه الأحلام. كم عبر عليه العشاق

من ضفة إلى أخرى. وسيعبر عليه عشاق وفتيان يحملون الورود بيدٍ ويمسكون أذرع حبيباتهم بيدٍ أخرى. وبعد خمسين عاماً سيولد عشاق. وتتفتح ورود. وتذبل أزهار. ويسمع النهر وشوشاتٍ وآهات، ويروي قصصِ حبٍ جديدة لأجيال وليدة.

أيها الرجل الغريب، لا جديد تحت الشمس. وكل شيء جديد تحت الشمس في كلِّ صباح. فتمتّعْ بصباحك ومسائك. وافرحْ بفجرك وغروبك. ولعلَّ ساعة الغروب الجميل أثمن وأمتع لحظةٍ يجود بها القدر على بني البشر. فارقبْ غروبك بكل امتنان. لكل امرىء حصته من الماء والهواء. فانطلقْ إلى هدفك وأترعْ جرَّتك لروح أخرى على هذه الدرب.

قوس قزح

وذات صباح، وفيما كان يقطف زهرة نرجسٍ داعبتها أصابع النسيم برفق على ضفة الجدول الأزرق المحاذي لبيته، وقعتْ عيناه على الجبل الشرقيّ المتوّج بالقرنة السوداء. فتساءل في نفسه: أمِنْ شدّة البياض سُمّيتْ هذه الذروة سوداء؟ أليس الأبيض هو الأقرب إلى الأسود من بين الألوان؟ ثمّ التفت جنوباً فوقعتْ عيناه على قوس قُزح. ذاك السيف الساحر الذي يطعنِ كبد السماء. فقال مخاطباً نفسه: أيها الإنسان الطيّب، يا ابن الأرض، نفسك غنيّة بالجمال والسحر مثل هذه القوس. نفسك قوس شفاف لطيف مشبع بهذه الألوان. آه يا نفسي. حافظي على ألوانكِ السبعة. يملأ الانسجام والجمال حياتكِ وحياة

الآخرين. ولْتكُ حياتك لوحة متعددة الألوان، فلا يطغى لون على لونٍ آخر. فالغنى مصدر السعادة والسلام في الروح.

الجِنازة

كما تنفح الريح تويجاً من تويجات الزهور

كما تسقط ورقة عن غصنها بهدوء

كما تقع قطرة الندى على فم وردة

كما نملة تزلِقُ على صخرة

سقطت الحاجّة "زهيّة" على الموت أو سقط عليها.

سريرها الخشبي في مكانه. وهي مستلقية بهدوء وطمأنينة في ذاك الكوخ الصغير الكائن عند أطراف القرية الوادعة.

رأى العارف وهو نائم، أنّ ثمة عرساً يُقام في

باحة الكوخ. وأن المرأة تتهادى بثوب عرسها الأبيض، ويتبعها الصبايا الجميلات وهن يرفعن بأيديهنّ أطراف الفستان البهي مخافة أن يلامس الأرض. فنهض في الصباح وأيقظ جاره الطيب، قال إنّ الحاجّة "زهية" ماتت. أحضرِ الرفش والمعول واتبعني. ذهبا فوجداها نائمة كما تنام الحوريّات في الجنة، مغمضةً كما تغمض الجميلات أعينهن في لوحة رسّام.

كان الثلج ينهمر طيلة الليل، وقد غطّى الكوخ بعباءة من القطن. صعد الجار إلى السطح ونادى بصوته الرخيم أهل القرية الواقعة على مرمى حجر. أفيقوا أيها النائمون. لقد ماتت جدتكم. أحضروا سواعدكم المفتولة ورفوشكم. وهيئوا لها كفناً يليق بها. هرع الناس إلى المكان من كل فجّ وصوب. ذُعرت الدجاجات في القنّ، ونفض الديك عُرفه متسائلاً: ما أزعجكم أيها الناس، ابتعدوا عن دجاجاتي. هل جئتم لتسرقوا حبوب القمح. لا توقظوا الجدّة من رقدتها.

ابتعدوا ولا تدنّسوا هذا البياض بأقدامكم أيها الخنازير والقردة.....

هذا هو البياض يلفّ كل شيء. ويمحو كل شيء. الدروب والحقول والغابات، المنازل والتلال والأودية. والبياض أيضاً يمحو ذاكرتها السوداء وأيامها السوداء، والثلج يطبق على عينيها السوداوين. يداها باردتان مثل مخطوط قديم.

ها هم قد أحضروا النعش وغسلوها بالماء الساخن. وألبسوها كفناً أبيض يحميها من الصقيع. وكانت الطبيعة ترتدي كلها كفناً يشبه ثوب زفافها الأبيض. هذه المسكينة التي لم تلد غير الدجاج والدِيَكة.

مشى العارف وراء الجِنازة. وهو يصغي إلى خشخشة الأحذية في الثلج. وكأنها هديل أزرق في هذا السكون المهيب.

قال في نفسه: يُخيل إلينا أنّ الوردة تموت ولا

يمشي في جنازتها أحد. وكذلك الفراشة والعصفور. ولكن الحقيقة هي أنّ الطبيعة كلها تمشي في جنازة أيّ كائن من كائناتها أو عنصر من عناصرها. الطبيعة اليوم في عرس أبيض أو جنازة بيضاء لا فرق. فالأصابع ذاتها التي تعزف على الغيتار هي التي تسمعنا نشيد الحزن أو الفرح في آن.

وبعد أن دفنوها بصمتٍ مثل عنزة نفقتْ أو بقرةٍ فطستْ. افرنقع القرويون وهم يتمتمون بشفاههم مشفقين.

البعث

وقبل أن ينصرف العارف اقترب منه أحد الفلاحين البسطاء، وسأله: هل حقاً يُبعث الإنسان بعد الموت أيها الرجل الغريب؟

فأجاب: إصعدي أيتها الروح إلى مصدرك، واتحدي بروح العالم. إنّ وراء هذا العالم يا أخي روحاً تحركه وتدفعه كما تدفعنا الريح وتبعثرنا يميناً وشمالاً. إنّ الروح يكمن في الشتاء، ويُبعث في الربيع، وينضج في الصيف، ويتعرى في الخريف.

والآن تمتزج الروح بالروح كما يمتزج الضوء بالضوء والماء بالماء. وغداً تنهض من أشلائها وأنفاسها الخفية شقائق النعمان على التلال، والنرجس والأقحوان أيضاً.

غداً عندما يأتي الربيع، يعصف الروح في كل شيء. فترى جيوش الأزهار تتبارى في عرض عسكري ومبارزة جماليّة.

الكون يا أخي ورشة كبيرة مستمرة. لا نعرف مبتداها ولا منتهاها. والكل يكافح فيها.

كلنا جزء من دورة الأرض والفصول. بدءاً من الدودة الصغيرة وصولاً إلى آخر نجمةٍ في المجرّة.

إن الجسد الذي واريتموه الثرى جسد طاهر وكنز خفي. بل هو أثمن كنز في باطن هذه الأرض المباركة.

وعندما عاد العارف إلى بيته، صنع لنفسه كوباً من الشاي ثم ألقى من كوّة الجدار نظرةً على ذاك الكوخ البعيد.

حاجز النور

وفي ليلة البدر من نيسان، خرج من صومعته حافياً يدوس العشب، فأحسّ بسعادة غريبة تملأ كيانه. وألفى نفسه في وادٍ نضير، حُشرتْ إليه الطيور والوحوش والبشر. ثمَّ عبر حاجز النور وأخذ لسانه يقطر كالنحلة شهداً مصفّى.

بسط ذراعيه إليهم وقال: أنتم جميعاً إخوتي وأمُّنا واحدة هي الأرض.

يا أخي الطائر الرخيم الصوت، إنّ قلبي يستحيل عندما يراك طائراً يصدح بين الضلوع.

يا أختي الزهرة الندّية، إنّ براعم صدري تتفتح عندما يداعب النسيم شفاهك المضمومة خَفَراً.

أي إخوتي، إسمعوا روح الحياة وعُوا.

أحبُّ الذئب الذي عضّه الجوع فافترس الخروف الضالّ، لأنه ذئب الله.

أحبُّ الخروف الذي التهم عشب الدير وأكل مال الوقف لأنه خروف الرب.

أحبُّ العشبة التي تمتص نسغ الإنسان ودمه، لأنها شهوة الأم التي لا تزول.

أحبُّ البدر الذي يضيء بالسهد لياليا لأنه مثلي مُصاب بالحمّى.

الموت

عندئذٍ تقدّم منه الموت متنكراً في ثياب امرأة قالت ساخرةً: حدثني عن الموت أيها المعلّم.

فأجاب: ليس من عادتي الوعظ، ولكني أقول لكِ أيتها المتسوّلة كلاماً تدركينه في قرارة نفسك.

إنزعي خاتم الزواج من إصبعك، وتبرّجي لعريسكِ الحقيقي الذي ستقترنين به إلى الأبد. ذاك الجميل الذي تحلم به كل عذراء.

الموت سيدتي عريسك المنتظر. سيأتيكِ في أبهى حلّةٍ، ويشدّك من شعركِ الطويل المنسدل على السهول والأودية. قد تجدينه مغلغلاً في ثوبك المزركش، وقد تجدين قبلته الملتهبة في ثمالة كأسك. قد يدسّ يده

المسمومة في كعكة الصباح التي تتناولين مع الشاي والحليب.

لا تخافي أيتها المرأة، ففي اللحظة التي تحلمين بها بفارسك المشتهى وهو ينضو عنك المئزر تلو الآخر، فتعضين شفتك السفلى من النشوة، سوف يأتيك الموت على هيئة لصّ ظريف يلفّ حبلاً من الحرير الشفاف حول عنقك الملساء، وأنت مستلقية تنعمين بالضوء المتسلل عبر النافذة إلى السرير.

الدين والشريعة

وتقدمتْ منه بومة مؤمنة، وسألته عن الدين فأجاب قائلاً:

هل سألتم الفراشة يوماً عن دينها، أو العصفور المرنّم على الشجرة، أو هل سألتم الشمس والقمر؟

إن الدين ينبت في أحشاء الإنسان كما تنبت الأعشاب في الصخور.

الدين ليس جلباباً نلبسه، لحيةً ندّرع بها، أو آيةً نتذرع بها لتبرير أفعالنا ومنافعنا الضيّقة. الدين لا يحتاج إلى رجال يتكلمون باسمه أو نساء يبشرن بتعاليمه.

هل رأيتم عصفوراً يدعو أفعى إلى عشه، أو نحلة تدعو الدبابير إلى مملكة الشهد والعسل؟

الحقّ أقول لكم. إذا كان للفراشة إمام فهو إمامي، وإذا كان للنحلة كتاب فهو كتابي، وإذا كان الضياء ديناً فهو ديني، وإذا كان عطر الوردة ترتيلاً فهو ترتيلي.

إبتعدوا عن أولئك الذين يحبسون إلههم بين أسوار المعابد، أو يحشرونه في الزاويا والمحاريب. فالدين نسغ يجري في شرايين كل كائن منذ شروق الشمس وحتى مغربها.

هو ذلك الشعور الطافح بالبهجة في ساعة الشروق، وذلك الحنين الغامض الذي يغمرك في ساعة الغروب.

فقاطعته البومة قائلةً: وإلى أيّ شريعة يحتكم الناس إذن؟

فأجابها يا أختاه لم تكن صلاتكِ يوماً إلا نقيقاً ضائعاً بين الخرائب. هيا مجّدي الخرائب الشاخصة في قلوب البشر. تلك هي شرائعهم المقدّسة.

وماذا فعلوا بشرائعهم؟ لقد أحلّوا دماء بعضهم البعض، واستباحوا الكون من حولهم شرَّ استباحة. إن الأنا هي شريعتهم الوحيدة التي يضمرون.

وعبثاً يختبئون خلف أقنعتهم المستعارة. لقد ملأ الفساد البر والبحر بعد أن ملأ أنفسهم. ولن يكونوا بمنجاة من العقاب.

قديماً قيل لكم: أحبوا بعضكم بعضاً، بل أحبوا الكون كل الكون. بهذا تصلح حياتكم وترقى. ها أنتم تعبرون من فشل إلى آخر. وتزدادون ظلماً وجهلاً ومرضاً وإفكاً. ألا ذوقوا ما كنتم تفعلون!

ها هو الإنسان المتحضر يرقى في السماء، ويسبر أغوار البحر، ويطوي الآفاق. لقد بزّ الجنّ مهارةً والعفاريت دهاءً. وصنع من الطين خلقاً آخر.

ولكنّه كلما جاء ليتكلم، برزت أنياب الوحش بين فكّيه.

الحاكم

وتقدم منه تيس من الماعز وسأله: ماذا تقول في الحاكم أيها البشريّ؟

فأجابه قائلاً: الفرق بينكما أنك تيس حقيقي وهو التيس المزيّف.

لم يستعرْ منك إلا بصاقه ولحيته التي تهتز عندما يضحك أو يأكل ويشرب.

الحاكم الممسوخ من البشر لا يملك نقاءك أيها التيس ونخوتك وشهامتك. إنّ حكومته مبغى وبرلمانه المزعوم حظيرة خنازير.

لقد نصب نفسه حاكماً على الناس إمّا بالبطش

وإمّا بالخداع. آه كم أشفق على الجماهير التي لا تملك حكمة القطعان.

إنه يطعم الناس شعارات كاذبة. ويسقيهم نشيداً وطنياً مسموماً. ها هو يرفع شارة النصر بإصبعه: لقد انتصرنا على الهزيمة.

يبتسم للناس عندما يحتشدون بين يديه. وعندما ينصرفون يشير إليهم بإصبعه الوسطى.

ثم التفت ثانية إلى التيس وأنشد قائلاً:

ما أجمل الحاكم

الذي ينطِف البصاق من فمه

عندما يتكلم

ما أجمله حين يبتسم

فيرينا بياض أنيابه

ما أطيب أنفاسه

عندما يتجشأ بالضحايا

ما أسخى الحاكم عندما يمنحنا عرساً جماعيّاً

فتختلط الأشلاء بالأشلاء

والدماء بالدماء

شكراً جزيلاً للإله

الذي فوّضه بعض صلاحياته

ألايستحق أن نقيم له في ساحة المدينة

نُصُباً تذكارياً؟

خير أمّة

وسألته نملة: ما هي خير أمّة في الكون يا رفيق الكفاح؟

فأجاب: قالت الحمامة نحن خير أُمّة أُخرجتْ للطيور

وقال النّسر نحن خير ما يحلّق في الفضاء

وقال الغراب نحن خيرٌ صُداحاً وريشاً

وقالت النّعاج نحن خير قطيع بين القطعان

وقالت الكلاب نحن خير أمّة بوفائنا

وقالت الحمير نحن خير طائفةٍ بصبرنا

وهكذا البشر...

يا معشر النّمال

لا فضل لجناحٍ على جناح، ولا لمنقار على منقار، ولا لحافرٍ على حافر.

ولولا البعوضة الصغيرة لما كان النّسر الكبير. ليس هناك أمّة خيراً من أمّة، ولا شعب أرقى من شعب، ولا طائفة أسمى من أخرى. هناك أمّة نبيلة في قلب كل أمّة، وحفنة نزيهة في وسط كل قوم. هناك ذهبٌ في بطن كل أرض، ومسك في دم كل غزالة. وإنّ القمر الذي يطلّ علينا في المساء، سينير قوماً غيرنا عند بزوغ الفجر.

يا معشر النَّمل، لا تحقِروا أنفسكم، فأنتم العمَّال الأوفى عطاءً، والأحسن مهارةً في ورشة الأرض الكبرى.

الطعام والشراب

وتقدّم منه فلاّح سمين وقال: هات حدثنا عن الطعام والشراب.

فأجابه قائلاً:

بعضكم يقول لا تأكلوا الحيوان لأنّه روح مثلنا. والبعض الآخر يقول لا يُقيتُ الروح إلا الروح، ولا يسند اللحم إلا اللحم، ولا يمدّ الحيّ إلا الحيّ. وأنا أقول للحجارة أرواح، وللأعشاب أرواح أيضاً. وأنت تأكل الذي سيأكلك غداً. وهاهي الأرض تعيد ترتيب الإنتاج وتصوغ الوليمة من جديد. فما تلك الزهور على التلال سوى عيونٍ ماتت بعد أن برّح بها الشوق وأضناها النّعاس.

وما هذا النّبع الفوّار سوى قلب عاشق مات من

الظمأ. وما أزهار اللوز البيضاء سوى أحلام امرأةٍ زُفّتْ لرجل لا تحبّه.

أيها الفلاّح الطيّب. شاركِ الجميع في وليمة الأرض: الشمس والهواء والنمل والصرصور والعصفور. يستيقظ الأسلافُ النائمون فيك ويمدُّون أيديهم. وكذلك شيطانك البليد الذي يجرع الخمرة. ولن يتورّع ملاكك الصائم عن صفّ الأطباق بين يديه.

كُلْ على جوع واشربْ على عطش وعلى قدر حاجتك. فالشجرة لا تشرب إلا حاجتها من الماء، والأسد لا يصيد إلا عندما يرغمه الجوع وتضيق به الحيلة.

أبها الفلاح الطيّب. لقد شويتَ لحم الجديان طازجاً، وشربتَ فيضاً من النّبع صافياً، ورضعتَ اللبن من ثدي النعجة والبقرة. وأنضجتِ الشمس لك الثمار والفواكه، فذقتَ منها ما لذّ وطاب. وبالله أسألك، هل أدركتَ كنه العيش أكثر من ذاك الحمار الذي يرعى هانئاً في المروج الخضراء؟

اليتيم

ودنا منه طفل يتيم، ثم ارتمى في حضنه، وداعب لحيته وقال: هات حدّثنا عن اليُتْم يا أبتاه؟

فكان جوابه: سأروي لك يا بُنيَّ هذه القصة. كان في قرية النَّحل طفل مات أبوه وهو في الخامسة من عمره. فسأل أمّه عن أبيه الذي مات.

قالت له إنّه سافر إلى بلاد بعيدة. وسيعود إلينا في الصيف.

وعندما حلّ الصيف سأل أمّه عن أبيه من جديد. فقالت يا حبيبي الصغير سوف يعود في الصيف القادم. وأين ألقى أبي عندما يعود؟ هناك على الدرب التي تفضي إلى النهر.

وها قد مرّت عشرة أعوام. وما زال الطفل يعدو كل مساء مع رياح الصيف على الدرب التي تفضي إلى النهر، منتظراً والده الذي لن يعود إليه...

سكان المدينة

وسأله راعٍ أشعث أغبر: ماذا تعرف عن سكان المدينة أيها الحكيم؟

عندئذٍ بلع ريقه وقال:

هذا هو الإنسان المتحضر يلفظ أنفاسه الأخيرة. أنت أيها الراعي تتناول زادك هانئاً برفقة القطيع. وذاك المتحضّر يمضغ وجبته وحيداً ككلبٍ منبوذ.

أنت في كل مساء تتفقد قطيعك نعجةً نعجة، وهو يتفقد دراهمه ويحصي أرباحه.

أنت تعاشر الأشجار والأطيار والأنهار، وهو يعاشر الآلات والجدران.

هو يرفع شعاره البائس: من يملكْ قرشاً يساوِ قرشاً. وأنت تحمل كنزاً لا ينفد في قلبك.

هذا هو الإنسان المتحضّر. زادت متعته وقلّ أولاده. بل إنّه يلد أطفالاً بأدمغة مبرمجة وقلوب ممغنطة.

لقد صعد كالصاروخ إلى القمر. وهو يعجز عن أن يمدَّ يده ليصافح جاره.

أنت تضيء كنجمة وتخبو كعطر. وهو كلمبةٍ يبرق وينطفئ.

إنّه يتناول أدويةً كثيرة ويزداد اعتلالاً.

إنه الخالق الذي يعبد مخلوقه.

أنت خسرت العالم وربحت نفسك. وهو خسر نفسه ولم يربح العالم.

أيها الراعي الغنيّ. عُد إلى بيتك وعانق امرأتك المضرّجة بالغبار

ورائحة الصوف، وكأنه العناق الأخير.

قبّلها. وتذكّرْ أنّ الحب يتلاشى قبلةً إثر قبلة.

ضمَّها بحنانٍ كنعجةٍ من نعاجك.

أمسكْ يدها الخشنة بكلتا يديك. قبل أن يأتي يوم لن تمسكَ فيهما إلا التراب.

الحنين

واشرأبّتْ ناقة سائلةً: فسّرْ لنا معنى الحنين في كلامك.

فتنهّد وقال:

ألهمينا الحنين أيتها الناقة. الحقَّ أقول لقد سمعتُ شدو البلابلِ وغناء الإنسان. فَوَ الله ما سمعتُ صوتاً أعذب من أطيط الروح. وشربتُ من الشراب ألواناً، فَوَ الله ما ذقتُ ألذّ من خمرة الحنين إلى الأحباب، والشوق إلى الديار والأصحاب.

يسألونك عن الأطلال قل هي شاخصة في روح العشاق. محمولة كالهوادج على ظهور العير. طوبى لمن بكى واستبكى. وتباً لمن ذمَّ وعاب. فَوَ الله ما

أحب شاعر ليلى إلا وأحبَّ أهلها وجيرتها وحيَّها ومنازلها وزرائبها.

وما أحب قيس لبنى، إلا وأحبّ ناقتها بعيرُه. وتبع شمسها قمرُه. وعلِق كناسها ظبيُه. ولحق طائرتها صاروخُه. وركن سيارته إلى جانب سيارتها. وعانق رصيفه رصيفها. وغازل بيته بيتها.

ألا بورك من قال:

يا حبّذا جبل الريّان من جبلٍ
وحبّذا ساكن الريّان من كانا

وحبّذا نفحاتٌ من يمانيةٍ
تأتيك من قِبَل الريّان أحيانا

ألا لكل عاشقٍ في الريّان نصيب. وفي ساكنيه حبيب. وله في نفحاته لذعٌ وطِيب.

المعجزة

وعندما جُنَّ الليل، سأله ابن آوى غامزاً: ما هي المعجزة التي تؤيّدك أيها النبيّ الجديد؟

فأجابه قائلاً:

يا أخي يا ابن آوى، أيتها الكائنات المنظورة وغير المنظورة، يا أحبّائي.

لستُ مبعوثاً سماوياً إليكم. فما أنا إلا صبوة من صبواتكم، وحلم مزعج من أحلامكم.

لستُ أكثر بلاغةً من السماء حين تمطر، ولا أسمى فصاحة من شعاع الشمس.

لقد آليتُ ألا أتحدّث مع البشر وأمثالهم. ولكنكم أصررتم عليّ. وهل أستطيع أن أقاوم رغباتكم التي هي

رغباتي. وأوجاعكم التي هي أوجاعي. وماذا عساي أن أكون؟ إنّ القدرة تتكلم أحياناً على لسان أصغر المخلوقات وأكثرها قذارة.

لستم بحاجةٍ، يا أحبائي، إلى واعظ جديد يردّد ما قاله القدماء على مسامع أجدادكم. بل أنتم بحاجة إلى من يواسيكم. وما أنا سوى القلب الذي يلتقط نبضكم، والفم الذي يحضن أنفاسكم بشفتيه.

إنّ المعجزة الوحيدة في هذا العالم هي امتزاجكم بروح الوجود ولحم الأرض ودمها.

إرفعوا الغشاوة عن أعينكم تروا في كل آنٍ أعجوبةً، وفي كل شيء سحراً.

وهنا توقف عن الكلام وأشار إلى البدر الساطع بإصبعه ثم قال: هذه هي معجزتي. أنظروا أيضاً إلى تلك النجوم الرائعة. إنّ الأعاجيب بينكم لتفوقها عدداً.

الحقَّ أقول، ليست المعجزة أن يتحول الماء إلى خمر في خوابيه. بل أن يصبح خمراً عندما يلامس شفاهكم المتعطشة إلى الحبّ. وإلى الحبّ وحده.

الخلود

وتقدم منه شيخ طاعن في السنّ وسأله عن الخلود.

عندئذٍ تلفّت فجأةً نحو بستان أبيه بعينيه المشتعلتين.

ثم قال:

لقد استصلح أبي رحمه الله هذه الأرض. ومع كل بصقةٍ من فمه، كان المعول يترنّم ويخصب الوعر. بَيد أنّ الصخر المطحون قد استحال تراباً ذهباً.

أيها الشيخ، لقد تساقط أصدقائي الواحد تلو الآخر، تماماً كما سقطت الأضراس من فمك. إنّ عمر الكائن قصير قصير. ها أنت قد ذرّفتَ على

السبعين، ولو سألتك كم عشت لقلت يوماً أو بعض يوم. إنّ سبعين سنةً تضاهي سنة واحدة. وأنا أقول إنّ يوماً واحداً يضاهي سبعين بل مئة بل ألف سنة.

إنّ مَن شرب قطرة من ماء الحياة فكأنما شرب النهر كله.

ثِقْ أيها الشيخ أنّ الحاضر هو الأزل. وأنّ الماضي هو الأبد. وأنّ ساعة الأفول هي ساعة الشروق الجديد.

أيها الشيخ الوقور، إنّ روحنا قطرة من روح الله. ولذا لن تعرف الموت أبداً. وغداً قد تموت ولم تتحققْ بعض أحلامك أو أمانيك. وسيمنحك الله فرصة أخرى لتحقيق رغبتك أو أمنيتك. لأنها أمنية الله.

الحق إنّ روحك سوف تعود من جديد وإن أخفتها المنيّة. وسيبعثك الربيع كرّةً أخرى!

الجمال

وسألته غزالة تلطأ بالشجرة: ما هو الجمال الذي ننشده بقلوبنا؟

فأجاب:

إملأي الصحراء يا أختاه غنجاً ورشاقة. وفجّري الحب في قلوب الشعراء. فكم قتيل في سحر العيون شهيد.

جميل أن يفترسكِ الأسد الجائع. وقبيح أن يصيدكِ البشر لهواً أو طمعاً.

جميل نفوركِ من الوحش، وأجمل منه استسلامكِ الرائع لأنيابه.

وجميل أيضاً، يا إنسان، أن تشنّف أذنيك بغناء الصفّار الذهبي، وقبيح أن تسرق الفراخ من أعشاشها.

جميل أن تشمّ الزهرة المغناج، وقبيح أن تدوسها بقدميك. والأجمل أن تقطفها من أجل حبيبك.

جميل أن يعزف العاشق على القيثار، والأجمل أن تصغي إلى نشيده.

جميل أن تذر الحيّة تسعى، والأجمل أن تفسح لها الدرب.

جميل أن تكون الأرض وفيّة للإنسان، والأجمل أن يكون الإنسان وفياً للأرض.

جميل أن ترى الفوضى في النظام، والأجمل أن ترى النظام في الفوضى.

جميل أن تودّع الطيور الراحلة في الخريف، والأجمل أن ترقبَ السنونوة التي تحمل الربيع تحت جناحيها.

جميل أن تنشُدَ الجمال بقلبك، والأجمل أن تنشده بعقلك.

جميل أن يصفعكَ الجمال على خدّك، والأجمل أن تديرَ له الآخر.

الحب

وسألته حمامة وادعة عن الحبّ فقال:

قديماً قيل: "أحبّوا أعداءكم" وأنا أقول أحبّوا الكون كلَّ الكون.

فما العدوّ سوى الصديق الذي هجرتْ روحكم روحه.

ومن أنت، أيها الغبيّ، لتميز المحبَّ من المبغض، والصديق من العدوّ؟

أحبّوا أعداءكم لأنهم يستحقون حبكم، كما يستحق الشحاذ الفقير عطيّتكم أكثر من الغنيّ المستغني.

بَيد أنّ الحبّ غير الشفقة. فقد تشفقُ روح القوي على الضعيف. إلا أنّهما يظلان اثنين منفصلين. أما في الحبِّ فإنهما يمتزجان. ويصبحان روحاً واحدة هي روح الأرض بل روح الله.

أحبّوا واحترقوا، كما يحترق الغصن الأخضر في النّار. فلا أطيب شواءً عند الله من رائحة القلوب المحترقة.

صَلُّوا أرواحكم نارَ الحبّ. كما تَصْلَى أجسادكم الحطبَ المشتعل في الصقيع.

أحبوا تحيَوا. ذاك أنّ الموتى وحدهم يكفّون عن الحبّ.

أي إخوتي،

قبل أن أحبّكم وقعتُ في حب نفسي. وعندئذٍ أصبحتُ أهلاً لمحبّتكم.

وما إن غمرني الفرح بهذا الحبّ، حتى فاض على كل شيء من حولي.

الحقَّ أقول، إنك عندما تحبّ وتمتلىء بالحبّ، يتحول قلبك إلى مغناطيس يجذب إليك العالم.

الزواج

وسألته امرأة مطلّقة عن الزواج فقال:

ليس الزواج هو الحماقة الوحيدة التي ترتكبون في حياتكم. فحياتكم ملأى بالحماقات. وكلما ازددتم حماقةً تزدادون حكمة.

وعندما تلدون الأولاد، فإنّما تلدون حماقاتٍ أكثر. وهكذا ينمو إرث الحكماء.

قديماً قيل: لِدوا للموت. وأنا أقول لِدوا للتغلب على الموت.

وقديماً قيل: إنّ الوالد يجني على من يلد. وأنا أقول لا تجنِ على روحك المتوثبة للحلول في جسدٍ آخر.

أجل، يا إخوتي، من زواج السماء والأرض

ولدنا. وإذا كانت الحياة إثماً متوارثاً كالخطيئة، فهو إثم الإله الذي خلق الإنسان.

لن تكتمل أيها الرجل حتى تصبح أباً. ولن تكتملي أيتها المرأة حتى تصبحي أمّاً.

لقد سمعت كل الأصوات فلم أجد أعذب من لثغة طفلة تحبو. وشممتُ أطيب الروائح فلم أجد أطيب من ريح الأولاد.

حسن أن تعيشوا طفولتكم مرة أخرى. والأحسن أن تروا أرواحكم تتحرك أمامكم وتأكل وتشرب، وتبكي وتضحك، لتعوّض ما فاتها من مسرّات.

أجل، يا إخوتي، إنكحوا بعضكم بعضاً بحبّ وحنان. فمن تناكح حجرين يُولد الجبل، ومن زواج البرق والرعد يُولد المطر.

وتبادلوا اللذة كي لا تسعد روح وتحزن أخرى.

ذاك أنّ الزواج يموت في السرير، قبل أن تُعلنَ الوفاة تحت قوس المحكمة.

الحرب

وسأله رجل مبتور الذراع عن الحرب، فأجابه قائلاً:

عندما تحارب الآخر فإنما تحارب نفسَك.

وعندما تقذف الشرَّ في وجهه فسوف يرتدّ عليك. تماماً كالكرة التي ترتطم بالجدار.

وإذا فُرضتْ عليك الحرب، فاذهبْ إليها حزيناً مُكرهاً.

لا تمجّد القتل برفع أقواس النصر وإقامة الأعراس له في المدن والقُرى.

لا تشرب الخمر على جثث القتلى ولا ترقصْ على أشلائهم. بل اذرفْ دموع الأسف والوجد على

قتلاك وقتلاه. لأن الدموع النقيّة سوف تطفىء نار الفتنة.

لا تقل قتيلنا شهيد وقتيلكم فقيد. بل كلاهما شهيد جهله درب السماء.

تذكّرْ أنّ لخصومك أمهات وأخوات سيصبحن ثكالى. وأبناءً سيصبحون يتامى.

واعلمْ أنّ عدوّك الذي واجهته في الخندق، وأطلقتَ عليه الرصاص في حومة الميدان، هو الذي كان، لولا الحرب، نديمك الذي يشرب الخمر في الحانة، أو شريكك الراقص في عرس الحصاد.

الصلاة

وجاءه ثعلب يرتدي جُبّةً وسأله عن الصلاة فأجاب:

كثيراً ما سمعتكم تقرعون الأجراس ابتهالاً وتمّطون حناجركم في الفضاء.

أقول إنّ ربي لا يعبأ بضجيجكم هذا....

إنّ صوت الحصّادين العائدين عند الغروب لَيشنّفُ أذنيه. وإنّ رنّة فؤوس الحطّابين لتطرب قلبه.

صلّوا كما الجداول تسقسق، وكما العصافير تزقزق. وكما يهبّ النسيم الطريُّ سُحَيراً.

هنا توقف وكاد أن يشرَقَ بالدمع. فقد تذكّر ذاك المؤذّن الذي مات.

قال سأحدثكم عن صاحب الصوت الأبيض و الثوب الأبيض واللحية البيضاء.

كان صوته كنزاً من كنوز الجنّة.

إذا هتف ردّد صوته الصدى من وادٍ إلى واد. ومن جبل إلى جبل ومن كهفٍ إلى كهف.

وإذا أذّنَ عند الظهيرة، يترك الفلاح محراثه، والحصّاد منجله، وتضع كل ذات حملٍ حملها. فقد آن وقت الدّعة والراحة.

وإذا هتف ليلاً تسكر النجوم بلحنه. فالنجوم في حلقة الذّكر ندامى. وكان لا يطلع الفجر إلا من حَنجرته.

لا يأتي العيد إلا إذا كبّر، فيملأ الأطفال الساحات صياحاً وفرحاً.

إلى أن جاء يوم واختفى. قيل إنه تسلق مئذنة الضيعة ومن هناك صعد إلى السماء.

الغناء

وسأله صرّار عن الغناء، فأجابه قائلاً:

لهفي عليك أيها الصرصور الكسول، يا شاعر الحشرات.

فمَن سواك يحثّ النملة على الكدّ والجني في يوم الحصاد.

ومَن سواك يحيل المواسم أعياداً للخير والبركة.

غنِّ ولا تخشَ يا ابن وردان صقيع الشتاء وجوعه. فليس بحبّة القمح وحدها تحيا الطيور.

زدني حنيناً إلى صريرك في ليالي الصيف تحت ضوء القمر. حيث تقيم قدّاساً احتفالياً لنجوم الحبّ.

أنشدْ يا صديقي نشيدك القَمري الذي يحمل العزاء للمتعبين، والسلوى لأهل السمَر العاشقين.

يا صاحب الحَنجرة الذهبيّة، أشعل القشّ في ليل النجوم. ودعِ الرعيان يسهرون على ضوء أناشيدك الخافتة، وينامون حالمين بالمروج الخضرِ والسواقي المزبدة.

الحياة أيها الصديق صحراء دونها صحراء. ومَن غير الحداء والغناء يبدّد وحشة القوافل الرتيبة، ويحيل الليل عرساً، وعرق الجباه خمرةً في الروح.

بالغناء والحداء وحدهما، تقصر المسافات البعيدة، وتعشُب المفازات القاسية.

وبالرقص والغناء، تهزج الملائكة للصاعدين في درب السماء.

الحسرة

وسأله ضرير يخفق في أسماله. هل ذقت الحسرة في حياتك؟

فتبسَّم وقال:

رأيت أصحاب الملايين ورضيتُ بما قُسم لي من رزق.

وعرفتُ العلماء وتمنيّتُ أن أصير واحداً منهم.

وتشبّهتُ بالكرام لعلَّ الفلاحَ يكون من نصيبي.

وعاشرتُ المساكين وأنستُ إلى فطرتهم.

ونظرتُ إلى النجوم المشعشعة ولكنني تمنيّتُ أن تظلّ بعيدة.

حضرتُ المآتم والولائم والأعراس. ورقصتُ مع الراقصين، وغنّيتُ مع المنشدين.

ولكن لم تلذع الحسرة قلبي إلا لدى رؤية عاشقين مجهولَين يرتشفان الحبّ في مقهى أو تحت الشجرة.

إنّ في كل حسرة جمرة. ألا حوّلوا حسرتكم إلى خمرة واشربوها.

ولا تفيقوا أبداً أيها السكارى ولو أذّنَ ديكُ الصباح!

الشيخوخة

وسأله سائل عن الشيخوخة، فالتفت إليه و قال:

الآن في شيخوختي

يستحيل ربيعاً كل ما تمسّه كفّاي

والشباب الجريح في أحشائي

ينزّ غبطة

توحّدت البراعم في صدري

بالهواء والأرض والعبير

عشتُ حيواتٍ في حياة

والشمس استحالتْ شموساً في قلبي

أخفُقُ في الدرب كليلٍ هائل

شبابي مترع بالشيخوخة

وشيخوختي دنٌّ لا ينضب

تشابكَ شروقي بأفولي

كما اشتبكت الأشجار بالجذور

هذا أنا، أيها السائل،

وقد لمع الشيبُ في رأسي

ومحَّ السوادُ

مثل برقٍ في السحاب

ضحك الشيب في فودَيّ، فبكيتُ من فرح بقدومه،

لا أسفاً على فجرٍ زائل.

في ريّق الشباب، أزهرتْ شيخوختي.

بل إنّي أحنّ إليها، حنين الشيخ إلى صباه، والطفل إلى ثدي أمّه الأرض.

إليَّ يا شيخوختي المترعة بالحكمة. ويا دمي المفعم باللسعات.

إنتظري أيتها النحلة بثوبك الملكي، يعسوبكِ العاشق موته.

ففي دمي تطنّ اليعاسيب التي تشتهي الموت على ذراعكِ

أيتها الشيخوخة.

إيه رفاقي، أيها العابرون، عيشوا الشيخوخة في الشباب، والشباب في الشيخوخة. هكذا دوماً يُولد الربيع من ناصية الشتاء، ويتفجّر الشتاء من قلب الربيع.

الحماقة

وسأله رجل يُدعى العقعق عن الحماقة فقال:

لله درّ القائل: إنّ الحماقة أعيتْ من يداويها. ذاك أنّها بعض من سجايا الإنسان الذي يباهي سائر الخلق بعقله.

لكنّ حماقته تسبق عقله. وتطارده في كل طريق مثل كلبٍ أجرب يلهث خلفه.

صدّقوني أنّ حماقة البشر تفوق حماقة الشيطان أضعافاً كثيرة. وإنّ إنسان الشيطان لأشدُّ طيشاً وغروراً من شيطان الإنسان.

ما الذي يمنع الإنسان من رؤية الزنابق على

رؤوس التلال؟. إنّها حماقته المتعطشة إلى الشراب والطعام والكساء والشهرة الفارغة والمجد الزائف.

الحيوان مستسلم لطبيعته والزهرة أيضاً سلّمتْ نفسها للشمس والريح.

والعصفور المغرّد سلّم جناحيه لتقلّبات الفصول. والجدول يستسلم بغبطة للبحر ويتلاشى فيه. وعلى ابن الموتى أن يزيل الغشاوة عن عينيه وقلبه، فيرى الأشياء بعينَي طفلٍ أو نسر.

هيّا أيها الإنسان. إلعبْ مع الريح واضحكْ مع الشمس وارقصْ مع الرعد وانهمرْ كالمطر. يفرّخ فيك ألف ربيع، ويشبّ اللهب الأخضر في كلّ مكان.

أيتها الحماقة البريئة. يا أخت الحكمة. أيتها الشرفة التي يُطلّ منها العقل على أشلاء العالم. ابتسمي!

وأنتَ أيها العاقل، لا يلزمك سوى جرعة قليلة منها. فكما أنّ قليلاً من الخمر يفرح قلب الإنسان، فإنّ قليلاً من الحماقة يفرح عقله أيضاً.

الشكر

وسأله جاحدٌ عن الشكر فقال:

أشكرِ الربّ لأنك تستطيع أن تتنفس كل صباح، إنّه كان كريماً سخياً.

واشكره ثانيةً لأنك تتنفس هواءً نقياً.

واشكره ثالثةً لأنك لم تصبْ بوجع في صدرك.

أشكرْ مَن أعطاك مهلة جديدة للعيش، لتضيف ذنوباً أخرى إلى سجلك الحافل بالآثام.

لِنْ للسّائل الذي يقابل عطاءك بالشكر النابع من قلبه. لأنه رأس ماله الوحيد.

أشكرْ مَن وهبك رأساً تديره يمنة ويسرة. وعقلاً يدور في كل مكان.

أشكرْ سيارتك القديمة التي تحمّلت طيشك وثقل دمك بضع سنوات.

واشكرْ سيارتك الجديدة لأنها سمحتْ لك بطمث عذريتها. ولا تنسَ أن تشكر الناقة التي حملتْ أجدادك. ولا تنسَ الحمار.

أشكرِ الذبابة التي تسرقُ حاجتها من دمك، ولكنّها لا تفتح بالفائض حساباً مصرفياً.

أشكرِ الشوكَ الذي حرس الوردَ لتنشقه.

أشكرِ السهم الذي طعنك من ظهرك. واشكرْ ألف مرة السهام التي ثقبتْ روحك فجعلتها تنزِفُ ذهباً.

عطّرْ فمك بذكر الذي منحك آلةً تنبض في صدرك منذ أربعين عاماً، دون أن تتوقف لحظةً عن الخفقان.

العقل والقلب

وسأله حكيم عن العقل والقلب، فهزّ رأسه وقال:

إنما عقلك مستعطٍ على باب قلبك. وبالوصيد شهواتك تنبح الضيوف القادمين من سفرٍ بعيد. يلتمسون الزاد والمأوى.

فدعْ رغبتك التي هي أعمق شهوةٍ لديك، تقفز فرحةً في موكب قلبك النّاهض ليصيدَ النّور الكامن في الكوائن.

زحزحِ الغشاوة التي وضعها عقلك على عينيك. فتحْتَ كل حجرٍ قلبٌ ينبض وروح تئنّ نشوةً بالمحبوب.

إنّ عقلك سجين ينطح أسواره. فيرتدّ وقد أدمى

قرنيه. وما انفك يزأر في رأسك مثل ليثٍ جريحٍ مُحتضَر.

وهذا غرورك يحمل الرفش والمعول ليقبر هذه الجيفة الضخمة ويواريها ترابَ احتقاره. وها هي أحلامك الماكرة تقيم له العزاء.

أنشُدِ الرحمة لعقلك يا صاحِ. ومُرْ قلبك السخيّ يبّوئه سُدّة الدار ويبسط له المأدبة الشهيّة. ويفرش بين يديه الزرائب والنمارق. لعله إذن يذوق طعم العذوبة في عذابه، والنّور في جحيم ناره.

شرّع الأبواب لذاك المستعطي، وأكرم مثواه.

إنّ قلبك الملتهب بالعشق، يتمنّى لو أن ما في الأرض من شجرٍ وقود له.

وإذا جئتَ الناس، فاحملْ قلبك قبسَاً لتراهم في وضح النّهار، قبل أن تلمحهم في وحشة الليل أشباحاً تلعق ما نزّ من قَيح ودم.

وإذا خلوتَ بنفسك، فأنشدْ هذه الترنيمة:

إنحطمْ يا قلبي، لتزداد قوةً وسطوعاً واحتراقاً.

وابتلعْ يا قلبي قلوب العشاق الحكماء، كما يبتلع كوكب كوكباً آخر فيزداد اتّقاداً.

النّور والظلام

وسألته نجمة في خَفَرٍ: هل نلعن الظلام يا أخا السُّرى؟

فأجاب وقال:

بعضكم يلعن الظلام وبعضكم يبارك النّور.

وأنا أقول مجّدوا الظلام خير من أن تضيئوا شمعةً آفلة. وباركوا الإله الذي يستحي أن يريكم وجهه الجميل.

يا إخوتي

باركوا انطفاء الشمس مثل شروقها. وباركوا انمحاقكم. تلك هي حكمتي. لا أريدكم أن تؤمنوا بي.

فما جئت كي أزيدكم ضلالةً. ولا تختصموا لديّ. لستُ فتنةً بل قيثارة يعزفها الروح.

يا أحبّتي، لا تلعنوا الظلام الذي يغمركم بنوره اليقين. فهو وحده يستركم ويرتق الفتوق.

الليل أصل الأشياء تلك هي حكمتي!

الليل أصل الأشياء. والنجوم بعض من هداياه والأحلام من سباياه!

لا تكفُروا نعمة السمر في الليل ومتعة السّرى. ونشوة المنام والسكون!

لا تسبّوا الظلمة كي لا تذمّوا النّور!

ومن حَمَد النجم فقد حمد الليل واستراح!

ولا دمَ حلالٌ إلا دم الشمس المراق عند الأصيل على التلال.

فباركوا زفافها الأخير.

لا تشتموا. لا يغلب الشتّام إلا طيّب الثناء!

ولا تُسكتوا الكلاب التي تنبح، لأنها جزء من مشهد القافلة!

النادل

وسأله نادل: هل تحب شرب القهوة أيها السيد؟

فابتسم عفواً وقال:

يا سيدي الصغير، إنّ طعم الحياة لذيذ مثل قهوتك المرّة، وحلاوتها في مرارتها.

أنتَ تسأل نفسك في صمت: لماذا عليَّ أن أحمل المتعة إلى هذا الذي يضع ساقاً على ساق ويمجّ دخانه باستعلاء وهو يقرأ جريدته الصَّباحية غير مبالٍ بالفتى الذي يلمّع حذاءه. وكأنه هو الآخر حذاء أيضاً.

رويدك يا أخي. إنّ ذاك الخواجا المغرور يعمل نادلاً في مكان آخر.

ويتأفَّف من سيده مثلك. ويحلم أن يقعد مكانه ذات يومٍ لينعم بفائض الجاه ونشوة التعالي على الناس. وينادي خادمه: أرغب في مزيدٍ من القهوة وقليل من السكّر.

إنّه توزيع للأدوار. فالمسرحية لا تبنى على شخص واحد.

أعرف أنّك تشعر بفرحٍ صغيرٍ عندما يدسّ لك الزبون شيئاً من البخشيش، وهو يدير ظهره لا مبالياً. وعندما تذهب مساءً إلى البيت، يتحول قلبك السجين إلى مخلب ينهشُ صدرك.

في تلك الساعة المتأخرة من الليل، كن نادلاً في مقهى روّاده النجوم، وحديقته الليلِ الشاخصِ في مفازة عينيك.

الوصية

وسأله الشاعر وصّيةً فقال له:

تعلَّمْ أن تودّع الحياة كل يوم

تعلّمْ أن تشيّع الناس في الطريق كل يوم

تعلّمْ أن تشيّع التلال والجبال والسهول والبيوت

قبّلْ سجادة العشب التي تدوس عليها أمك كل يوم

لوّح بيديك لمدينتك أو قريتك

إنّ عينيك قطعة من ليلها. وإنّ قلبك حفنة من أرضها

فكيف تواري حنين التراب إلى التراب؟

سِرْ في جنازة نفسك قبل أن يسير فيها الناس.

سِرْ في جنازة الشمس عند الغروب، وارقص في عرسها عند الشروق.

إن شمسك التي تغرب ستلد عشرين شمساً أخرى.

أرقصْ في عرس النجوم ليلاً، وتفقَّدْ غيابها نهاراً. ذاك أنّ كل شروق أو غروب يبتدئ فيك وفيك ينتهي. لأنك أنت الفضاء وأنت المدار.

كن إنساناً. لن تخدعك الحياة بعد اليوم. أنت من تخدع نفسك. مسكينٌ هو الشيطان وكتيبته البائسة من المرتزقة.

كن إنساناً. اعشق الحياة حتى الموت. اضحكْ حتى تنفجرَ معدتك من الضحك. قهقه حتى تتمزّقَ خاصرتك من القهقهة.

عاملِ الأشياء بابتسامة ساذجة. تعلّمْ أن تسخر. إسخرْ طوبى لمن أُوتيَ مجد السخرية.

السخرية ملح الوجود

السخرية روح الروح.

الصديق

ثم دنا منه صديق قديم وقال له: هبني واحدةً من ثمارك أيها الصّديق.

فربّته ثم أطلق زفرةً في الهواء وقال:

إيه أيتها الدنيا. كم أغرتني ورودك المشتعلة.

ويا أصابعي التي دميتِ ثم نسيتِ أوجاعك إذ انغمستِ في العطر.

يا صديقي، نحن جميعاً فانون. وهاهي شمس النهار قد جنحت إلى المغيب.

لقد دقّ ناقوس الرّحيل. إنّ أيامنا تمشي بخطى عاجلة على العشب.

إنّ الورود التي كنا نقطفها قد ذبلت. ولم يبقَ لنا غير وخز الألم والنّدم.

لا تأسَ يا صديقي. إنّ الزهور التي فنيتْ سوف تنبتُ في مكان آخر،

وإنّ الشمس التي أفلتْ، سوف تشرق ثانيةً في نفسك.

إيه صديقي. اقطف الوردة في أوانها قبل أن تقطفها الريح وتذروها في غبار الدرب.

إنّ طريق الرحلة الطويلة ليست طريقنا

والتفتَ إلى السماء، فإذا بأسراب الكركي تعبر هائلةً مثل السُحُب السوداء.

الإياب

ثـمَّ ران الـصـمـت مـن جـديـد. وأدار ظـهـره إلـى الجموع الغفيرة وقال: آن الأوان لأغادركم. إنّ رحلتي ستبدأ في الغد. سامحوني. لا أستطيع المكوث بينكم نعجة تثغو بين النعاج.

الحقّ إن أفكاركم نعاج وحكمتي أسد مفترس.

هـا هـو الـمـسـاء قـد وافـى. ومـشـى خـطـوتـيـن إلـى الأمام وهو يدفع برفق ولطف البهائم المتزاحمة من حوله.

ثم التفتَ بكلّه إلى الجموع مشيّعاً ونادى: أيها الشهود على غيابي، وداعاً وإلى اللقاء في عرس آخر.

وعـنـدمـا وصـل إلـى صـومـعـتـه، وجـد قـلـبـه مـلـيـئـاً

بالغبطة. بل مسكوناً بذاك النّور الأزلي الذي يُسمَّى الله.

وأحسَّ فجأة بالنجوم المشعّة في نفسه، تنعكس نوراً في السماء.

حدَّق ملياً في نجمةٍ بعيدة شديدة السطوع. وتجرّع على مهل نورها الشهيّ كما جرع سقراط السُمَّ بلذة.

وادَّكَر يوماً من أيام طفولته، عندما راح ليلاً ليملأ دلوه الصغير بماء الساقية.

عاد والقمر في الدلو وحين سكب الماء على التراب اختفى.

هذا هو القمر المختفي في نفسه، يبزغ من جديدٍ أكثر لمعاناً وسحراً

قال طوبى للنفوس المشعّة بالنجوم. هذه هي الجنة على الأرض تنتظر عودة الروح من الضفّة الأخرى.

آه يا نفسي، ما أجمل أن تعيشي مجهولة في هذا الكون، وأن تموتي مجهولةً أيضاً.

في ذاك المساء الذهبي، كان الشفق بلون النبيذ. وكانت شفتاه تحترقان من العطش. سأل نفسه هل كنتُ أهذي في وسط تلك المخلوقات وهل ذهبتْ حكمتي بَدَداً؟ وهل أنا أكثر حكمةً من حشرةٍ تافهة؟

وهل تتعطش هذه الحشرات مثلي إلى خمرة الشفق الملتهب؟

وفي هذه اللحظة، فارتْ عينيه من النشوة وأحسَّ بالامتلاء. فوضع رأسه بين يديه وبكى. ثمَّ أفاق والتفت إلى أعلى فقال:

إذا كانت هذه النجوم زائفةً، فلتكن كلماتي زائفةً أيضاً!

الجزء الثاني

الرّحلة

الشوق إلى السفر

ثوى في صومعته حتى ملَّ الثواء. وفي التاسع والعشرين من حزيران، زاره فتى في الحادية عشرة. قال أُحبّ أن أكون مُريداً لك. قال أمُشتاق إلى السفر مثلي قال نعم. فرّبت كتفه وأقعده بجانبه على كرسي عتيق من القش.

وقدّم له شراباً ساخناً مشوباً بالعسل. قال احْمَدْ أختك النحلة التي جمعتْ لك هذا الشراب. واحمدْ مرتين ربَّ النحلة الذي بذر الأزهار في طريقها زُمراً زُمراً. واخفض جناحك لمن اتّبعكَ من الفراش المتعطش للاحتراق في نار عينيك. وإذا لسعتْكَ الحياة فاصطبرْ عليها لتسقيك من الحكمة شهداً مصفًّى.

ثم اغرورقتْ عيناه بالدمع قال للفتى: مَن أمّك؟ قال غيمة رمتني على الطريق ومرّتْ. ومَن أبوك؟ قال أورثني رداءً من الصوف ورحل غير أنّي لم ألبسه قط. قال الفتى فما بال أمّك؟ قال ولدتني سحابة تسحّ في الذرى. أرملة الربيع حافيةً إلّا من جوارب الثرى. وأرضعتني غمامة من ثديها الطافح بالندى. قالت ولدتك فولدتُ بك ثانيةً كما يولد البرق والرعد معاً. وهطلتُ معك على الأرض العطشى وابلاً إثر وابل. تلفَّت العصفور وهو يرشف الرحيق فغصَّ واعتذر.

وفرح بك أبوك وانتشى، نشوةَ الزلزال بالزلزال. واغتبطتُ أنا غبطةَ الحياة بالحياة والزوال بالزوال.

قال المتصومع للفتى ارفع يديك مثلي وردّدْ معي: شكراً لكِ أيتها السحابة يا أمّي. أنا مسافر غداً فابسطي ظلك الحاني علينا في الطريق. آمين!

ناطور الماء

وسارا في الطريق إلى جبل الشمس التي لا تغيب. فعاجا وحمارهما على ناطور الماء، قالا عِمْ صباحاً قال عِمتم صباحاً أيّها الركب وكان الشاي حاضراً فشربا صافياً كالدمع نقياً. قالا الحمد لله عسى يسقيك في الجنة شراباً زكياً. وجاء الناس وجيء بالبطيخ واللحم نيئاً ومشوياً. وكان يفتل شاربيه محدِّقاً في الأرض مليًّا. قال المعلم لقد ظلمتَ الفقير الذي لا يملك من المال شيئاً. وسقيتَ لمن كان محتالاً ثرياً.

قال الحارس لو أطعتكَ لمات صغاري جوعاً. وهل كان قبول الهدية أمراً رزيًّا؟ قال أليس لسواك أولاد يعيشون ممّا تنبت الأرض حنيًّا؟ قال أنا كفيل

بعيالي وربّي يرزق أصحاب العيال جميعاً. قال المعلم إنك قد هدرتَ الحق كما سال الماء في الأرض مهدوراً. ويحك من دعاء الأرامل والأيامى، ومن حرقة أكباد اليتامى. فاسأل الرحمن عفواً وسلاماً!

يوم الدّجن

وبينا هما سائران امّحت الدرب من أمامهما، وأحاط بهما الضباب الداكن من كل مكان. فابتلّت لحية المعلم واخضلّت شفتاه ولمعت عيناه. قال لفتاه سأحكي لك تقصير يوم الدَّجن في ضيعتنا. سقى الله تلك الأيام، كم شاقني سكّانها وجيرتها، كما شاق الشاعر جيرةُ أهل الحجاز. ألا كلُّ بقعةٍ هنا حجازيّة الهوى. وكل شجرة مشعر حرام. وكل صخرة كعبة يطوف حولها حجيج. ثم خلع المعلم نعليه وتأبّطهما، وفعل الفتى مثلما فعل.

أيها الفتى الطيّب، كنّا إذا لمع البرق وأزّ الرعد نلوذ بالموقد حيث تمتزج الأنفاس بالأنفاس، وتختلط

الأرجل بالأرجل، ونحن نصغي إلى حسيس النار في سهرة الشتاء. آه يا سلوة الفقير، ويا أنس العشير. وكانت جدتي منزوية مثل حطبة يابسة كبيرة. آه كم ودّتْ لو تلقي نفسها في النار قبل أن ينفد الحطب. ها قد نفدَ العمر وشحَّ الرجال، وأصبحنا نشتاق، والله، إلى قصص الحمقى وأسمالهم. والصعاليك، يا أعزَّك الله، نكهة العيش في الدساكر. ذهبوا ولم يبقَ منهم من مُسافِر.

الذئب

واشتدّ الظلام في طريقهما، وبدأ الحمار يلبط الهواء كأنّه يطرد الأشباح من حوله. فلاحتْ لهما مغارة فاغرة فاها. قال المعلّم نأوي إليها ونربط الحمار إلى جانبنا. أقبلْ أيها الليل وابسطْ جناحيك. ها قد كَفَرَ الضبابُ الصخور والأودية. أوّاه ما أشدَّ حنيني إلى الحبيب، وقد أزف اللقاء فأبشرْ.

وحين ولجا المغارة أوقدا ناراً. فإذا ذئب يأوي إليها. قال المعلّم مرحى يا أخي الذئب، فأخذه النعاس ونام إلى جانبهما كنعجةٍ طيّعةٍ.

ثمّ انحسر الظلام فإذا الذئب قد اختفى. فبسط المعلم زاده وقال لفتاه لقد لقينا من سفرنا هذا نَصَباً.

قيل إنّ المرء يصلحه الجليس الصالح. وكم يمتعه الأكيل الصالح أيضاً. أمّا الذئب أيها الفتى فهو ملاك أرسله الله ليؤنسنا في وحشتنا. وأما الضباب الذي يغشانا فهو رحمة الله.

الراعي

وتابعا سيرهما فوجدا راعياً بدوياً يذبح شاةً أمام خيمته. قال الفتى لو تركتها تلهو مع أترابها في المرعى، فلم يأبه له. وسكت المعلم وهو يرى الدم ينفجر من شرايين الأرض. وما هي إلا برهة حتى اشتعل البرق مثل وميض السكين وزمجر الرعد وانسكب المطر سيولاً، فجرف الحصى والتراب وغسل الحجارة المضرَّجة بدماء الشاة.

ثم قيل يا سماء أقلعي ويا شمس أشرقي ويا أرض اشربي الماء هنيئاً مريئاً. وأحضر الراعي لحماً مشويّاً فأكل المعلّم وأبى الفتى.

ثمَّ قدّم إليهما قدحَيْن من لبن فشربا وقالا ربَّنا

اجعلنا من الشاكرين. قال الراعي ما تبغيان من سفركما هذا، قال المعلم أبغي شجرة الأماني عند سفح الجبل قال وما تلك الشجرة قال إن أكلتَ منها فلن تجوع أبداً. وتجد كل ما اشتهيتَ حاضراً بين يديك وحياتك رَغَداً.

قال الراعي سقتُ القطيع من واد إلى واد ولم أجد كل ما اشتهيتُ في حياتي. ففي النفس أودية لا يصل إليها الإنسان. وفي الغاب أشجار لا تسمو إليها أعناق الرعيان.

إزرعْ أيها الشيخ شجرة حيث تقعد تكن ذكرى مرورك في هذا المكان.

الناسـك

ثم اهتديا في طريقهما إلى غار يفوح رائحة غريبة. دخلاه فوجدا ميتاً له سُحنة النسّاك. قال الشيخ عرفت هذا الناسك في فتوَّتي. زرته فبش لي وهش.

قال وهو ينفض الرماد عن ثيابه، سأظل حياً حتى تخمد النار!

يا بُنيَّ كلنا وقود لهذه النار الأزلية وكلنا قبس منها. وكانت ناره المشتعلة ليلاً ونهاراً موئلاً للإنس والجن والوحش والطير. النار كتابه المرقوم، وحديثه المختوم. فما بالك بجمر الحشا يصلاه؟

يا بُنيَّ كلما حكشتُ هذا الجمر رأيتُ أمّي على

التنّور. والأرغفة من حولها وجوه ضاحكة. لله تلك الأيام. كم حسدتُ القطط المتمرغة في ذاك الرماد.

أمي عاشقة النار تحمّص خديها عليها كما تحمّص الخبز. فلا تدري، والله، هل احمرَّ خدها من كثرة الصفع، أم من شدة اللسع.

يا بُنيَّ غداً أراك ضيفي في هذا الغار.

هذا أنا قد عدت، أردف الشيخ. وأمر فتاه أن يساعده في وضع جثة الناسك على ظهر الحمار، وأوثقوه فأحسنوا الوثاق. ومضيا خاشعين مطرقين، ولما بلغا النهر ألقياه فيه. قال الشيخ عسى أن يتدبره سمك البحر فيُبعث في بطن الحوت ويُلقى على الشاطئ يونانَ جديداً.

الكلمـات

وطفقا يمشيان فأخذ العرق يرشح منهما. ثم ركب الشيخ الحمار وأردف الفتى خلفه.قال سأعلمك هذه الكلمات. فالشجرة التي نبغي لا تشبه سائر الأشجار. إنها تخرج من صخرة على نبع ماءٍ هدّار. فهزَّ الحمار رأسه وأطرق الفتى. فدنا منه موشوشاً: يا بُنيَّ الزمِ الدرب من بعدي، وإذا تُهْتَ فشاورْ عقلك، واستأنسْ بحواسك، ولا تتبعْ إلا قلبك. فهو الهادي والإمام. الشعاب طي روحك وما الرحلة إلا فيك.

اليوم السابع

وفي اليوم السابع أوشك الزاد على النفاد. قال الفتى لقد تركتَ المدينة أيها الشيخ وما فيها من متعٍ وملذات. قل لي ألم تقع ذات يومٍ صريع الغواني؟

هل نجوتَ من طعنةٍ نجلاءَ أو لفتةٍ كحلاء. أما سكرتَ حناناً بعينَي مُطفلٍ تستريح على شاطئ البحر. تبسم الشيخ وهو يبقر بطيخة خضراء. قال مازحاً: إنّ حظي فيهن مثل بذور البطيخ. يا بُنيّ إنّ النساء فتنة الرجال. وإنّ الرجال أيضاً هم فتنة النساء. كلاهما مُبتلى بالآخر.

الحقَّ أقول لقد أحببتُ النساء وزنيتُ في قلبي مرات كثيرة. ولكنني لم أدنّسْ مخدع امرأة. وإني أتوق

إلى الجمال الأسمى الذي لا يشيخ ولا يذبل. إني على موعد مع عرس الجمال حيث الشجرة الخالدة عند سفح جبل الشمس التي لا تغيب.

الموت في ظل الشجرة

وعندما أدركا غابة الأرز والشوح، ترجّل الشيخ عن حماره. وأخذ يسعل سعلة ناشفة كأنّ شوكة علقتْ في حلقه. وأخذ الهواء يعبث بثوبه البالي، ثم غسل يديه ووجهه بماء ساقية تجري من تحت شجرة باسقة أسند رأسه إلى جذعها ليرتاح. وأغمض عينيه ولم يفتحهما أبداً.

أيقظه الفتى فلم يقمْ، وناداه فلم يجبْ، وهزه بكلتا يديه فلم يتحركْ. وحدّق في وجهه كأنما يحدّق في وجه الموت نفسه.

ولم يستطع الفتى أن يغالبَ دموعه التي راحت تنهمر في صمت. فيما راح الذباب الجائع يحتشد في أنف الحمار المسكين.

واتفق أنّ حيّة قزحية اللون خرجتْ من وكرها. ثم دنتْ من الجسد النائم فالتفّتْ حول عنقه وداعبتْ وجهه ثم اختفتْ.

وساق العطش مُكارين إلى ذاك المكان. يلبسون ثياباً بِيضاً وقلانس سُوداً.

فدفنوا الشيخ في حفرةٍ تحت الشجرة دون أن ينزعوا عنه شيئاً.

ورجع الفتى من رحلته خائباً. وهويسحب الحمار ويهذي. ولدى أول منعطفٍ أطلق الحمار نهقة خافتة وخفض أذنيه الطويلتين من الورع والأسى. ومضى مكبًّا على وجهه لا يعبأ بالطرق القويمة ولا الملتوية، ولا يحس بشيء حتى بوخز الحصى في حافره. وبعد سبع سنين بلياليها مات الفتى. وأوصى أن يُوارى في القبر الذي دُفن فيه مُعلّمه. وأحضر الناس الرفوش والمعاول، وأزاحوا البلاط عن القبر فلم يعثروا على شيء من رفات الشيخ ومتاعه. لم يجدوا سوى نعليه.

المحتويات

الجزء الأول: النبيّ المجهول 9
الخريف والضباب 11
الصخرة 13
النداء الخفيّ 19
الجسر 23
قوس قزح 25
الجِنازة 27
البعث 31
حاجز النور 33
الموت 35
الدين والشريعة 37
الحاكم 40
خير أمّة 43

الطعام والشراب 45
اليتيم 47
سكان المدينة 49
الحنين 52
المعجزة 54
الخلود 56
الجمال 58
الحب 61
الزواج 64
الحرب 66
الصلاة 68
الغناء 70
الحسرة 72
الشيخوخة 74
الحماقة 77
الشكر 79
العقل والقلب 81
النّور والظلام 84

النادل 87
الوصية 89
الصديق 92
الإياب 94
الجزء الثاني: الرّحلة 97
الشوق إلى السفر 99
ناطور الماء 101
يوم الدّجن 103
الذئب 105
الراعي 107
الناسك 109
الكلمات 111
اليوم السابع 112
الموت في ظل الشجرة 114